مجلة أنساق للفنون والآداب والعلوم
الإنسانية
الإصدار الحادى والعشرون
المجلد (٦) العدد (٤)
٢٠٢٥ (١-٢٥)

المحظورات اللغوية في المحكية الأردنية، دراسة وصفية تحليلية

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

د. صفاء حرب أحمد

نشر إلكترونياً بتاريخ: ١٩ نوفمبر ٢٠٢٥م

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة ظاهرة المحظورات اللغوية من جانبين الأول منهما نظري، يهتم بتعريف المحظورات اللغوية، ثم تقييدها بالأسباب والعوامل التي جعلت منها مسكوكات عرفيّة ولغوية ممنوعة، ويدرس أثرها في النشاط الإنساني والانفعالي، لتواكب الظواهر اللُغويّة مستجدات المجتمع بمستوياته المتعددة، ومبادرة الفرد على تحسين اللفظ المحظور ليصبح متلطّفا ومستساغا من نواحٍ عدّة، والجانب الثاني تطبيقي، يكتسب أهميته من خلال استحضار صور تلك المحظورات في المجتمع الأردني على اختلاف فئاته، وتحليلها ضمن منظور المحظور ومنطلقاته، وتبيان أكثر الفئات الممنوعة لغويا في المحكية الأردنية.

الكلمات المفتاحية: المحظور، التابو، الطوطم، المسكوكات، العربيزية، الأردنة، الكتابة الصوتية

Abstract

This study examines the phenomenon of linguistic taboos from two complementary perspectives. The first is theoretical, focusing on defining linguistic taboos and identifying the factors and causes that render certain expressions socially and linguistically prohibited. It investigates their impact on human and emotional activity, highlighting how individuals adapt and refine taboo expressions to render them euphemistic and socially acceptable. The second is applied, emphasizing the manifestation of these taboos within Jordanian society across different social groups. It analyzes these instances in light of their underlying causes and principles and identifies the social segments most affected by linguistic prohibitions in Jordanian colloquial Arabic.

Keywords: taboo, linguistic prohibition, social constraints, euphemistic expressions,

Arabization, Jordanianization, phonetic transcription

*** المقدمة**

تُعدّ اللغة ظاهرة اجتماعية حية ومتطورة، لا يمكن دراستها بمعزل عن سياقها الحضاري والثقافي والاجتماعي، فهي متأصلة في حياة الأفراد اليومية وتخضع لمقاييس المجتمع وأعرافه ومستوياته المختلفة. ويأتي هذا الالتصاق لتلبية حاجات المتحدثين ومواجهة المستجدات، واستجابةً لبواعث لغوية ونفسية وتاريخية في إطار تواصلي محدد. فاللغة، شأنها شأن متكلمها، تتأثر بحضارة الأمة ونظمها وتقاليدها وعقائدها، وكل تطور في هذه النواحي ينعكس في أنماط التعبير الفردية: "فكلما اتسعت حضارة الأمة، وكثرت حاجاتها، ورقّي تفكيرها، وتهذبت اتجاهاتها النفسية، نهضت لغتها وسمت أساليبها، وتعددت فيها فنون القول، ودقت معاني مفرداتها القديمة، ودخلت فيها مفردات جديدة عبر الوضع والاشتقاق والاقتباس للتعبير عن المسميات والأفكار المستحدثة.(Wafi, 1983,13) "

ولا تقتصر وظيفة اللغة على نقل الأفكار والمعلومات وإيصال الأحاسيس فحسب، بل تتعداها لتحفّز المتلقي على التفكير والتحليل وتولّد لديه انفعالات وأفكارًا جديدة، فتوسّع آفاق خياله وتنمّي قدراته الإبداعية. وهي بذلك مرآة تعكس ما يبوحه الناطقون عن حياتهم الإنسانية، سواء الخاصة أو العامة، وتتيح لنا تحليل الظواهر الاجتماعية والكشف عن الاستعمالات اللهجية الغامضة التي تعبّر عن طبيعة المجتمع وسلوكياته اللغوية. ومن بين هذه الظواهر البارزة تأتي ظاهرة المحظورات اللغوية، التي تمثل مجالًا خصبًا للدراسة اللغوية والاجتماعية والنفسية.

*** إشكالية البحث**

إذا كانت عملية الحظر اللُغويّ تقوم على تجنب بعض الألفاظ واستبدالها؛

١- فأين وقع المحظور في المحكيّة الأردنيّة؟

٢- وما هي أكثر القوالب اللُغويّة التي جاءت عليها المحظورات؟

٣- وهل كانت المحظورات في شرائح المجتمع على حدّ متساوٍ؟

منهج البحث: تتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي؛ فالوصفي في تناول ألفاظ المحظورات اللُغويّة في محكيتنا الأردنية، ثم تحليلها ضمن سياقاتها أحيانًا، وتبيان حالاتها.

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في رصد الألفاظ المحظورة في المحكية الأردنية، التي من المعيب أن يُكتب فيها أو تُتداول رسميا في الكتابات؛ لوضع الطبقات الاجتماعية الأردنية، وكمية المحظور في لهجتها التي تتطاول شرائح متعددة منها، وعمدتُ إلى الكتابة الصوتية لعرض المحظورات اللغوية حتى لا يطال التابو الاجتماعي هذا البحث، في الملحق نهاية الدراسة البحثية.

عينات الدراسة البحثية: كانت دراستي مبنيّة على تقميش معظم ألفاظ العامية الأردنيّة من محيطي، ورصد أكبر عدد ممكن منها بما يخصّ ويُؤطّر المحظور اللُغويّ، على النحو التالي:-

١- مجتمع المدرسة طلابا ومعلمين من كلا الجنسين وجميع المراحل العمرية.

٢- مجتمع الأسرة: النواة والممتدة.

٣- مجتمع الأقارب.

٤- مجتمع الحيّ الاجتماعيّ " الحارة".

٥- مجتمع القرية.

٦- مجتمع المدينة والجامعة.

صعوبات الدراسة البحثية: لم أكن أتوقع أن يكون عملي صعبًا لهذه الدرجة –ليس كما تتصورن – فلم أعانِ تعبا جسديا بقدر ما عانيت نفسيّا، وأجبرت نفسيّ على التصبّر وتجرّع ويلات ما يتهافت إلى مسامعي كلّ ساعة وترويض العقل على تمحيص اللفظة المحظورة وتطويعها للدراسة العلمية، بالرغم من مشاقّ الحرج، وضيق الروح لما كنت أضعها في سياقها، أو لمجرد أن أذكرها في خلوة نفسيّ لهذا أستميحكم عذرا – وأعلم أن عذري ليس بالمقبول علميا - فلن أذكر بعض الكلمات المحظورة؛ لأن نفسيّ تأباها وتأبى يداي كتابتها لتقرأوها؛ فأمتعض مرتين: مرة حين أرسلتها حروفا وحبرا على الورق، ومرة حينما أجبرتكم على قراءتها صوتًا أو همسًا، فكفانا ما نسمع أو نرى من هذه العبارات في الشوارع والأحياء الشعبية أو أثناء السباب والقدح والفضح.

لقد كان عملي أشبهَ بعمل الراصد الاجتماعيّ الذي يتوغّل في بيئته الطبيعية، يراقب تفاصيلها الدقيقة ويستمع إلى نبضها الداخليّ؛ إذ قمتُ برصد أحاديث المعلمات والطالبات في مناطق مختلفة، واستقصاء أطراف الحوار وما يتخللها من شجونٍ وتعبيراتٍ عفويّة تعبّر عن واقع الحياة اليومية. كما سعيتُ إلى استنطاق نسوة الحي وعددٍ من قريباتي وأطفالي، ومحاورة أولاد الحي عمّا يدور في محيطهم، وكيفية تعاملهم مع أحداث الحياة المدرسية وتقلباتها، فضلًا عن تتبّع أحاديث الشباب والأشياخ في الاجتماعات الصغرى وبعض الكبرى، وقد أتيح لي توثيق بعض تلك الجلسات صوتًا وصورةً على نحوٍ ميدانيّ مباشر.

ورصدتُ عددًا لا بأس به من المكالمات الهاتفية، وشاهدتُ مجموعةً من المقاطع المرئية ومراسلات مواقع التواصل الاجتماعيّ القادمة من مناطق متفرّقة من المملكة، في محاولةٍ لفهم تنوّع الخطاب الشعبيّ واختلاف أساليبه تبعًا للبيئة والسياق.

وقد وجدتُ نفسي أحيانًا في مواقف دقيقةٍ لا تُحمد عقباها، حين اضطررتُ إلى استنطاق بعض الرجال من ذوي القربى حول مسائل تتصل بالخصوصيات المنزلية والزوجية، وهو ما تطلّب حذرًا بالغًا ومراعاةً لأخلاقيات البحث العلميّ. كما قمتُ –في نطاق محدود– بمتابعة بعض المحادثات التي دارت عفوًا بين المارّين أو الجالسين على قارعات الطرق، وما يتخللها أحيانًا من سِبابٍ أو ألفاظٍ عاميّة صادرةٍ عن الشباب والمراهقين والأطفال، بل وحتى بعض كبار السن، سواء في الحيّ أو في وسط المدينة أو ضمن محيط الجامعة.

أما في نطاق التواصل الرقمي، فقد حصلتُ على إذنٍ مسبقٍ بالاطلاع على بعض محادثات تطبيق (الواتس آب) الخاصة بزوجي وبعض إخوتي مع أصدقائهم، فضلًا عن بعض المحادثات بيني وبين أخواتي وزميلاتي في العمل، لتوسيع نطاق الرصد والتحليل وتنوّع العيّنة الاجتماعية المدروسة.

١– المحظور اللغوي: النشأة والتطور والتعريف

يقول الدكتور محمد الخولي: "يفرض كلّ مجتمع على أفراده سلوكا لُغويّا معيّنا، فهناك كلمات وعبارات محظورة في كلّ مجتمع، كلمات لا يليق بالمرء قولها. ذلك بأن اللغة سلوك لفظي كما أن الأفعال سلوك حركيّ، فكما أن بعض الأفعال محظورة مكروهة في مجتمع ما، كذلك بعض العبارات محظورة مكروهة، ولذلك يلجأ المرء إلى التحايل اللُغويّ عند الإشارة إلى هذه المحظورات عن طريق استخدام التورية والكناية") .El-Khouly,1993,169)

لم يكن مفهوم المحظور غائبًا عن أذهان اللغويين والبلاغيين القدامى، بل تناولوه في مصنّفاتهم تحت مسمياتٍ متعدّدة، ك الكناية والمجاز والتعريض وتحسين الكلام. وقد أدرجه المبرّد ضمن مصطلح الكناية في بابٍ عقده بعنوان: «من ألفاظ الكناية»، حيث يقول:" قال الله عزّ وجلّ: {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتمْ لِبَاسٌ}[البقرة:١٨٧] فهذه كناية عن الجماع، وقوله عزّ وجلّ : {مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ }[المائدة:٧٥] كناية بإجماعٍ عن قضاء الحاجة "(Al-Mobarrid,1997,2/97).

وذكره ابن فارس في باب الكناية أيضًا تحت مصطلح تحسين اللفظ في قوله تعالى: {أَوْ جَاء أحد مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ}[النساء:٤٣] وكناية التبجيل كقولهم: "أبو فلان" صيانة لاسمه عن الابتذال.(Ibn Faris,1997,201).

وفي فقه اللغة أفرد الثعالبي فصلًا للكناية عمّا يُستقبح ذكرُه ويُستحسنُ لفظُه؛ إذ تناول فيه عددًا من الآيات الكريمة وأحاديث النبيّ ﷺ، وبعضًا من كلام العرب في هذا الباب (Al-Thalabi, 1999, 303). ولعلّ الثعالبي قد استشعر أهمية هذا المبحث ودقّته، فأفرده بمصنَّفٍ مستقلّ هو كتابه «الكناية والتعريض»، عرض فيه طيفًا واسعًا من الأبواب التي تندرج تحت دائرة المحظور اللفظي، متناولًا ما يتّصل بالنساء وأحوالهن، والرجال وأوصافهم، وفضول الطعام، وكنايات المقابح والمثالب، وما يُقال في المرض، والشيب، والكبر، والموت، وما يتطيّر به من الألفاظ والمواقف.

يصِفُ الثعالبي في مقدمة كتابه هذا بقوله: "هذا كتاب خفيف الحجم ثقيل الوزن صغير الجرم، كبير الغنم في الكنايات عما يستهجن ذكره، ويستقبح نشره أو يستحيا من تسميته، أو يتطيّر منه، أو يترفّع ويُتصوّن عنه بألفاظ مقبولة تؤدي إلى المعنى، وتفصح عن المغزى وتحسّن القبيح، وتلطّف الكثيف، وتكسوه المغرض الأنيق في مخاطبة الملوك ومكاتبة المحتشمين .." (Al-Thalabi, Metonymy 1998, 4).

وعرض السكاكيّ في الكناية رأيه :"أنها تتفاوت إلى تعريض وتلويح ورمز وإيماء وإشارة، وأصلها عنده في معنى الخفاء لوجه التصريح بأسماء الأعلام أو صفاتهم أو أحوالهم، أو بقلب الكلمة لإخفاء الناس إياه واحترازهم أن يصرّحوا بلفظه، فضلا أن يرتكبوا معناه جهارا" (Al-Sakaki,2000,512)

تطوّر مفهوم المحظور في العصر الحديث مغلَّفًا بنكهةٍ غربيّةٍ استشراقيّة، متخفيًا تحت تسمياتٍ جديدة مثل الـ«تابو (taboo) «و«اللا مساس» و«المحظور». ويُعدّ سيغموند فرويد من أوائل علماء الغرب الذين تناولوا هذه الظاهرة بشيءٍ من التفصيل، إذ ربطها بالتصورات الأرواحيّة وبالعلاقة مع الأموات، وبانتهاك كلّ ما هو مقدّس أو محرَّم في نظر البدائيين، سواء أكان متعلّقًا بـ الآلهة أو الحيوانات الطوطمية. يقول فرويد: "إنّ دلالة كلمة taboo تتشعّب في اتجاهين متضادّين؛ فهي تعني من جهةٍ شيئًا مقدّسًا منزّهًا مباركًا، كما تعني من جهةٍ أخرى شيئًا رهيبًا خطيرًا" (Freud, 1983, 41).ويضيف موضحًا أنّ فونت يرى أنّ التابو "يشمل جميع العادات الاجتماعيّة التي تعبّر عن التهيّب من مواضيع معيّنة مرتبطةٍ بتصوّراتٍ عباديّة، أو من تصرّفاتٍ تتصل بهذه المواضيع" (Freud, 1983, 46).

وفي تعريفه لمفهوم التابو، يقول أولمان: –

"هذه الظاهرة هي ما يُطلق عليه اللا مِساس أو الحظر، وهو ترجمةٌ لكلمة التابو .تُطلق على كلّ ما هو مقدّس أو ملعون، يُحرَّم لمسه أو الاقتراب منه — سواء أكان من الأشياء أو من أسمائها — بسبب الاعتقاد الخرافي في سحر الكلمة؛ فإذا ما اصطدمت اللغةُ بكلمةٍ يُحظَر استعمالها تحت تأثير عامل اللا مِساس، حُلَّت محلّها كلمةٌ أخرى خالية من فكرة الضرر والأذى. وتُعزى هذه الظاهرة في جوهرها إلى تأثير الخرافات والأساطير وآثار شعوذتها (Ullman, 1975, 174)."

ويقدّم أحمد مختار عمر تعريفًا آخرَ أكثر دقّة، إذ يقول: –

"هو التأثير الدلالي الذي يتعلّق بالكلمات المجازية أو المؤسَّسة على المجاز أو أيّ صورةٍ كلاميّةٍ معبّرة. ويدخل في هذا النوع من المعنى ما سمّاه (Leech)بـ المعنى المنعكس (reflecting meaning)، وهو المعنى الذي يثور في حالات تعدّد المعنى الأساسي؛ فغالبًا ما يترك المعنى الأكثر شيوعًا أو ألفةً أثرَه الإيجابي على المعنى الآخر. ويتّضح هذا المعنى الانعكاسي بصورةٍ أكبر في الكلمات ذات المدلولات المكروهة أو المحظورة، مثل الكلمات المرتبطة بـ الجنس، أو موضع قضاء الحاجة، أو الموت؛ إذ أصبح من الصعب في الإنجليزية أن تُستعمَل كلمة (intercourse)مثلًا دون أن تُشير إلى ارتباطاتها الجنسية، ولم يعد الإنجليزي يجرؤ على استخدام الاسم (undertaker) لشيوعه في وظيفة دفن الموتى.(Omar, 1998, 40) "

ويُستشَفّ مما تقدّم أنّ المحظورات اللغويّة هي جمع مؤنثٍ لكلمة المحظور، أي الممنوع، وقد جاءت بصيغة اسم المفعول لبنائها للمجهول، فهي تُشير إلى تلك الألفاظ التي يُوردها المتكلّم متستّرًا بها على معنى داخليٍّ يُخفيه، مستبدلًا إيّاها بما يُعدّ معيبًا اجتماعيًّا أو نفسيًّا، أو محرّمًا دينيًّا أو سياسيًّا، أو ممّا يُتَحرَّز من التلفّظ به خوفًا أو حياءً أو نفورًا.

إذ تتولّد هذه المحظورات من وعيٍ جمعيٍّ يُدرك أثر الكلمة، فيلجأ إلى التحوير والتلطّف والتلميح اتّقاءً لسطوة اللفظ الصريح، وصونًا لهيبة القول.

وتتجلّى أسباب استدعاء هذه الظاهرة في ثلاثة محاور رئيسة: –

١– العيب والشعور بالحرج، وما يقتضيه الذوق الاجتماعي من سترٍ واحتشام.

٢– الخوف والفزع والتشاؤم، وما يرتبط بالمحاذير الدينية والأسطورية.

٣– التلطّف والأدب والخجل، وهي من أنبل الدوافع وأرقّها في الوجدان اللغوي.

فالمتكلّم الحصيف يلتمسُ ألينَ العبارات وأرقَّ الأساليب في التعبير عمّا يخدش الحياء العام أو يحرّك مكامن النُّفرة الفطرية، إذ يُعدّ المكاشف والمجاهر بتلك الألفاظ مُخِلًّا بالمروءة والذوق العامّ.

وكما يُقرّر السيد (El-Sayed, 1995, 172): "هناك أشياء لا تُقال، ليس لأنها لا يمكن أن تُقال، بل لأن الناس يتحدّثون عنها — إن تحدّثوا — بطرقٍ غير مباشرة؛ فالكلمات قد تكون مقبولة أو غير مقبولة، ويمكننا أن نعبّر عن هذا القبول أو الرفض لغويًّا ضمن توجّهات الثقافة المجتمعيّة نحو المادة اللغويّة ذاتها."

وقد أشار إبراهيم أنيس إلى أنّ أبرز مظاهر التطوّر الدلالي تتجلّى في الألفاظ المتّصلة بما يُستقبح ذِكره صراحة، كالألفاظ الدالّة على التبوّل والتبرّز أو المرتبطة بـ العلاقات

الجنسيّة، إذ يُنكرها الذوق الاجتماعيّ، فيُستعاض عنها بتعبيراتٍ أخرى من اللغة ذاتها أو من لغةٍ أجنبيّة (Anis, 1974, 141).

ومن الأمثلة الشائعة في حياتنا اليومية استعمال اللفظ (W.C) نُطقًا أو كتابةً للدلالة على دورة المياه، اتّقاءً لما قد يثير الحرج أو يمسّ الحياء العام في ثقافة المجتمع.

كما أشار السيد إلى أنّ بعض القبائل الإفريقية — مثل قبائل النيوب في غرب إفريقيا — تستعمل ألفاظًا عربية كـ (جماع، قفا) بدلاً من الكلمات الأصيلة في لغتهم التي تحمل المعاني نفسها، وذلك تحاشيًا للفظ المباشر (El-Sayed, 1995, 170).

وتلك الظاهرة اللغوية تعكس نزعةً فطريةً نحو التهذيب اللفظيّ ومراعاة الذوق العام، إذ "تتغيّر الكلمات مراعاةً للّباقة، فليس من اللائق في بعض المجتمعات أن يُصرَّح بالألفاظ المتّصلة بأفعال الفظاظة أو بما يُعدّ من أمور خدش الحياء العام."

وقد وقف ابن سنان الخفاجي عند هذا اللون من التحفّظ، منتقدًا بعض الألفاظ التي رآها خارجةً عن حدّ الأدب، فقال في كلمة الكنيف إنها ممّا يُعيبه الذوق، واستشهد بقول عروة بن الورد العبسيّ: –

قلتُ لقومٍ في الكنيفِ تروَّحوا عشيّةً بتنا عندما وإن رُزِّحوا

والكنيف في أصل اللغة الساتر، ومنه قيل للترس كنيف، غير أنّه استُعمل بعد ذلك في الآبار التي تُستر لقضاء الحاجة، فاشتهر بهذا المعنى الدارج (Abdel-Tawab, 1990, 202).

وقد كره الخفاجيّ هذا اللفظ في شعر عروة، وإن كان ورد في سياقه على وجهٍ صحيحٍ من الناحية اللغوية، غير أنّ العرف الطارئ على الاستعمال جعله مستهجنًا. على أن لعروة عذرًا، إذ يُحتمل أن يكون هذا التحوّل الدلالي قد حدث بعد عصره، بل لا ريب في ذلك، فالعرب أهل الوبر لم يعرفوا الآبار المستورة بهذا المفهوم إلا لاحقًا، مما يدلّ على أنّ تطوّر اللفظ ارتبط بتحوّلات الحضارة والعرف الاجتماعيّ.

الألفاظُ الدالّة على التبوّل والتبرّز تشهدُ هي الأخرى تحوّلًا دلاليًّا مستمرًّا، يتبدّل فيه اللفظُ من جيلٍ إلى جيلٍ بحسب تغيّر الذوق الاجتماعيّ ومستوى التحفّظ الثقافيّ. ففي العاميّات العربيّة، مثلًا، يُقال» :يروح الحمّام»، «يروح التواليت»، «يشخّ»، وهي تعبيرات تتنوّع في درجتها بين المهذّب والمباشر (Abdel-Tawab, 1990, 202).

ومن أصرح الشواهد على هذا التطوّر ما حدث في لفظة (قَحْبَة) في العربيّة القديمة؛ إذ كانت تعني المرأة العجوز الكثيرة السعال، ثم أُطلقت لاحقًا على المرأة البَغيّ أو الفاجرة، لأنّ تلك كانت — كما يذكر اللغويّون — تسعل وتتنحنح لتلفت انتباه طالبيها، ومع شيوع هذا الاستعمال الجديد، غلب المعنى المحظور على الأصل البريء، واندثر المعنى الأوّل تمامًا.(El-Sayed, 1995, 171)

لقد كانت الكلمة في بدايتها خالصةً من القبح، غير أنّ السلوك الاجتماعيّ أضفى عليها دلالاتٍ جديدة، فغدت لفظًا محظورًا يستدعي الكنايةَ عنه أو استبدالهُ بآخر أكثر لُطفًا. وبهذا يتّضح أنّ تحوّل الدلالة من المألوف إلى المحظور لا يصدر عن تغيّرٍ لغويّ صرف، بل هو انعكاسٌ مباشرٌ لـ ثقافة المجتمع وتحولاته القيميّة، إذ يتولّد من العُرف الاجتماعيّ ما يُحرّم النطق ببعض الألفاظ، ويُنتج بدائل لغويّة أكثر تحفّظًا ومواربة.

ولا يقتصر الحظر اللغويّ على الألفاظ المتعلّقة بهذه الجوانب، بل يمتدّ إلى ما يتّصل بالأعضاء التناسليّة أو بما يُفهم منها، لفظًا أو معنى، فيتحاشى المتكلّم التصريح بها صونًا للحياء العام. كما يشمل مجال الموت وما يرتبط به من أمراضٍ وصفاتٍ ومظاهر خوفٍ وتشاؤمٍ، إذ يمثّل الموت في المخيال الجمعيّ أشدّ ما يهابه الإنسان، فيُكنّى عنه بتعابير متعدّدة تختلف في درجتها الدلاليّة تبعًا لثقافة المتكلّمين وسياقاتهم (Al-Thalabi, Philology, 1999, 106)، ومن تلك الألفاظ: أراح، فاضت روحه، فاظت نفسه، فَطَس، فَقَس، قضى نحبَه، سَحَط، ذَرَع، شُيّع، أَمْثَلَه، وأقَصَّه.

وهكذا تُظهر هذه الأمثلة أنّ المحظور اللغويّ ليس ثابتًا، بل يتبدّل بتبدّل المجتمع وموقفه من ما يراه عيبًا أو فُحشًا، فيتحوّل اللفظ العاديّ إلى محظور، ويُستبدل به آخر أكثر انسجامًا مع الذوق العامّ والحياء الثقافيّ.

*** المحظور اللُغويّ ليس سواء في المجتمع**

تتنوّع اللغة في المجتمع بتنوّع ظروفها الاجتماعية والثقافية والجغرافية، وما يطرأ عليها من حوادث الزمن وتحوّلاته، ومن ثمّ تتفاوت نِسبُ المحظور اللُغويّ بين الأفراد بحسب هذه المؤثرات المتشابكة (Bisher, 1997, 171). وقد عبّر القدماء عن هذا المعنى قولًا بليغًا» :إذا فتحتَ فاكَ عرفناكَ«، أي إنّ اللغة مرآةُ صاحبها، تُفصح عن طبقته الاجتماعية، ومستواه الثقافيّ، ومهنته، وموقعه من السُلّم الاجتماعيّ.(Bisher, 1997, 136)

وتُشير نوال عطية إلى أنّ التركيب اللُغويّ في أحاديث الناس اليوميّة يختلف وفقًا لمقتضيات الموقف وطبيعة المخاطَبين، فالتنوّع في الأساليب ليس مجرّد تنوّعٍ نحويّ أو معجميّ، بل هو تنوّع في المقام الاجتماعيّ والثقافيّ .فالكلام الذي يوجّهه الأب لأبنائه، يختلف عن خطابه لرئيسه في العمل، أو حديثه مع زوجته أو صديقه؛ إذ لكلّ مقامٍ لغته، ولكلّ علاقةٍ نسقها الخاصّ من الألفاظ والنبرات والتراكيب . فإذا خالف المتكلّم مقتضى الحال، أخلّ بالفحوى والمضمون (Attia, 1982, 34).

وعلى هذا الأساس، تؤدّي الألفاظ ثلاث وظائف متكاملة: –

١– وظيفة تعبيريّة تتّصل بذات المتكلّم، إذ تنقل مشاعره وانفعالاته.

٢– وظيفة رمزيّة تتعلّق بالأشياء التي تدلّ عليها الألفاظ وتحاكيها.

٣– وظيفة تأثيريّة ترتبط بالمخاطَب، إذ تُوجّه سلوكه أو تُحدث فيه استجابةً ما.(Attia, 1982, 40)

وهكذا، يُفهم من مجمل ما تقدّم أنّ المحظور اللغويّ ليس ظاهرة مطلقة، بل هو نسبيّ متحوّل يتشكّل في ضوء الثقافة والمقام والمخاطَب، ويتبدّل بتبدّل العلاقات الاجتماعية ومقامات القول، فالكلمة الواحدة قد تُعدّ لائقة في سياقٍ، ومحظورة في آخر.

ومن أوضح علامات العلاقات الاجتماعية ذكر الأسماء الشخصية؛ فكل شخص يمكن أن يُخاطب بأسماء متعددة حسب السياق والمقام، فقد يُخاطب بالاسم الأول أو باسم العائلة، أو يُلحق بلقب مثل السيد أو الأستاذ، غير أنّ الذي يقرّر طبيعة هذا الخطاب هو النفوذ الاجتماعي وطبيعة التواصل بين الأطراف. ولهذا السبب عُرفت بعض التعابير الرسمية التي تعكس الهيبة والمقام، مثل :جلالة الملك، صاحب السمو، ولي العهد، فضيلة القاضي، سماحة المفتي، معالي

الوزير، جنابك باشا، سيادتك، وسيدي " (El-Sayed, 1995, 167).

وتُعدّ بعض هذه الألقاب ملزمة اجتماعيًا وسياسيًا في معظم المجتمعات، وإذا ما أُخلّت، فإن تاركها قد يتعرّض أحيانًا لـ التأديب الأمني بشتّى الوسائل. أما إذا خاطب شخص آخر شخصًا باسمه، فهي غالبًا علامة مودّة؛ إذ يدلّ ذلك على أنّ نفوذ المستمع أقل من نفوذ المتكلّم أحيانًا، كما قد يكون المستمع ابناً له أو المقصود رغبة في التعبير عن المودّة والتقارب الاجتماعي .وفي هذا السياق، فإن استخدام الكنية أو اسم التدليل يكشف عن قرب ومودة أعمق بين الأطراف، ما يعكس بعدًا إنسانيًا ووجدانيًا للتواصل الاجتماعي (El-Sayed, 1995, 166)؛ فالأسماء والألقاب لا تُعبّر عن الهوية فحسب، بل عن الاحترام والسلطة والمقام، وهي أدوات لغوية دقيقة تتحكّم في توازن القوة والعلاقات الشخصية والمهنية داخل المجتمع، ما يجعل من اللغة وسيلة رمزية واجتماعية ذات تأثير مباشر على سلوك الأفراد وتقديرهم لبعضهم البعض.

*** ضوابط المحظور**

يحكم المحظور عددٌ من الضوابط الأساسية :-

١- الضابط الثقافيّ

٢- الضابط الدينيّ

٣- الضابط الاجتماعيّ

٤- الضابط النفسيّ

٥- الضابط النوعيّ

فالملاحظ في حياتنا اليومية أن لكلّ فرد القدرة على التعبير عن المحظور بمعانٍ قد تختلف عن معانيه لدى غيره، تبعًا لثقافته ومعرفته وخبراته .فمصطلحات المتعلمين، على سبيل المثال، تكون أوسع إدراكًا وأكثر تهذيبا وتأدّبًا من تلك التي يستخدمها الأفراد الأقل اطلاعًا. أما رجل الدين، فهو غالبًا يلتزم حدود الأدب والتهذيب، ويجتنب المحرمات اللفظية قبل الفعلية، أكثر من الفرد غير الملتزم دينيًا.

كما أنّ المجتمعات الراقية تلتزم بالأدب والحشمة واللباقة أكثر من المجتمعات المنغلقة على نفسها، أو تلك التي تؤمن بالخرافات والشعوذة، مثل الاعتقاد بالجن والعفاريت والغيلان. في بعض المجتمعات، تُتجنّب ذكر الشيطان أو العفاريت خشية أن يحضر تأثيرها بمجرد سماع أسمائها، ويظهر هذا أيضًا في بعض المجتمعات العربية حين يُستعاض عن ذكر هؤلاء بـ"الأسياد"، أو يُستبدل ذكرهم بالبسملة، كما في قول البعض: " شفت بسم الله الرحمن الرحيم".

على صعيد آخر، تختلف المجتمعات في التعامل مع اسم الجلالة .فبعض المجتمعات المسيحية الأوروبية تحظر استعمال الاسم الإلهي في الأحاديث العامة، وتقصر ذكره على المناسبات الدينية وقراءة الكتاب المقدس والصلوات، بينما يحرص المجتمع الإسلامي على ذكر الله في كل مناسبة لما فيه من بركة ورحمة، وهو أمر يشجع عليه الدين الإسلامي (El-Sayed, 1995, 169)، مع استثناء الحالات التي يكون فيها ذكر الاسم في أماكن نجسة أو خلاء، فيحظر ترديد اسمه وصفاته، أو أيّ آية كريمة من القرآن الكريم.

وعلى خلاف الديانة اليهودية، فكلمة)يهوه (في العبرية تعني "الإله"، إلا أنّ اليهود ينطقونها بـ)أدوناي (أي "سَادَتِي"، وذلك بسبب الخوف والهيبة اللذين يسيطران عليهم لارتباط الاسم القديم بالكوارث واللعنات التي حلّت بهم عبر تاريخهم الطويل .(Abdel Tawab, 1990, 204) ويبرز هنا تأثير الذاكرة الثقافية والتاريخية على اللغة، وكيف

تتحوّل بعض الأسماء إلى محظورات لفظية يُراعى عدم نطقها خشية تبعاتها النفسية والاجتماعية.

ومثل هذا التشاؤم والخوف من ذكر الموت يظهر في بلادنا أيضًا، لما له من تأثير عاطفي سلبي على النفس والمتلقي .لذلك يلجأ المتكلم إلى أساليب التلطّف والتحسين اللفظي لتخفيف وقع الصدمة العاطفية، فيُستعمل مثلًا:" رحمه الله، في ذمة الله، انتقل إلى جوار ربه، فاضت الروح إلى بارئها"، هذه العبارات لا تخفّف فقط من وقع الموت النفسي، بل تتيح للمتحدث والمتلقي الاحتفاظ بالاحترام والوقار تجاه الحدث وخضوعًا للثقافة الدينية والاجتماعية السائدة.

ولا يُغفل أن متعلقات الموت، من مسبباته وأحواله وما يؤدي إليه، تندرج أيضًا تحت طائلة الحظر اللغوي، بما في ذلك الألفاظ التي تُثير الرهبة أو الخوف، مثل "السرطان" للمرض الخبيث، أو "المبروكة" للحمى (Abdel Tawab, 1990, 203). ويُظهر هذا أنّ المحظورات اللغوية ليست محصورة فقط في الأسماء الإلهية أو القدسية، بل تمتد إلى ظواهر الحياة اليومية المرتبطة بالوجود والموت والأذى الجسدي، وهو ما يدفع الأفراد إلى ابتكار أساليب لغوية مستترة أو مستعارة من المجازات والتلميحات، لضبط وقع الكلام على النفس والمجتمع معًا، حفاظًا على التوازن النفسي والاجتماعي.

أما الضابط النوعي فيكمن في أنّ الأنثى عادةً أكثر تمسّكًا بقيمة المحظور اللغوي وما يُلفظ منه مقارنة بالرجل، "كما أنّها تُصرّ على عدم الاقتراب من تلك الألفاظ والكلمات ذات الدلالات النابية أو المسفّة أو الجارحة للشعور العام، ولشعور جنسها بوجه خاص؛ لأن هذه الكلمات عندها تُعدّ من المحظورات اللغوية. ويظلّ هذا السلوك العام للمرأة غير مقصور على بيئة دون أخرى أو عصر دون آخر، وإن كانت هناك استثناءات. ففي المواقف الحرجة تحوم المرأة حول المعنى، وتسعى إلى البيان عنه بأساليب رقيقة ولبقة؛ فتلجأ إلى الكلمات والعبارات الحسنة التعبير، أو تكتفي بالإشارة أو التلميح إلى المقصود، محافظةً على حشمتها وكرامتها الشخصية في الوقت نفسه.

وتختلف درجة الحظر نسبياً من بيئة إلى أخرى، ومن زمن إلى آخر، تبعًا للعادات والتقاليد؛ فالسراويل، التي تشير في الأصل إلى قطعة معيّنة من الملابس الداخلية للرجل أو المرأة، قد اختفت تمامًا من لغة المرأة في بعض البيئات، بينما تُستعمل في أخرى للجنسين معًا. ويروي لنا يسبرسن (Jespersen)أنّ سيدات بوسطن في الماضي كن يكتفين بالإشارة إلى قوائم البيانو وأرجلها لتجنب ذكر الكلمة المعنية (سيقان) .(Bisher, 1997, 208) ولذا، لم يكن من المقبول أن تقول الفتاة، على سبيل المثال: (كسرتُ رِجل الطاولة)، إذ كانت كلمة (رِجْل) من الكلمات المحظورة استعماليًا في العصر الفيكتوري (El-Sayed, 1995, 168).

وإذا ما انتقلنا إلى العصر الحالي، نجد أنّ الرجل، عند مخاطبته للمرأة، يكون حريصًا على انتقاء كلماته وعباراته، فلا يأتي بمفردات تمسّ كرامتها أو يمكن أن تُفسَّر تفسيرًا غير لائق في البيئة الاجتماعية، أو تحمل إيحاءات أو إيماءات غير مقبولة عرفيًا؛ فلا يخاطبها: (يا ولية، يا هانم، يا ست، يا مدام...) .(Bisher, 1997, 209) بل يحرص على ذكرها بألفاظ منتقاة بعناية أمام الجمع، خصوصًا في غيابها، كقوله: (أم العيال، جماعتي، عيلتي، حرمي، أم فلان)، مراعيًا بذلك المحظورات الاجتماعية واللغوية الخاصة بالجنس والبيئة.

إنّ هذه الحذرية اللغوية للمرأة لا تُعدّ مجرد اختيار شخصي، بل تعبير عن وعي اجتماعي عميق وتقدير لقيمة الكلمات وأثرها النفسي والعاطفي على المحيطين بها. فاللفظ عندها ليس مجرد أداة تعبير، بل هو مرآة تحفظ للمرأة كرامتها وتحدّد حدود تفاعلها مع الآخرين، وتُراعي فيها الذوق الاجتماعي والثقافة السائدة، حتى تظل الألفاظ وسيلة للحفاظ على الانسجام بين الذات والبيئة، والتوازن بين الحرية والتقيّد، بين التعبير الصريح والمراعاة الدقيقة للمحظور اللغوي.

٢– المحظورات اللُغويّة في اللهجة الأردنيّة المحكيّة

لقد كان الجزء الأول من البحث توطئة يسيرة تمهيدًا لدخول عالم المحظورات في الأردنية "اللهجة الأردنية"، فهي خليط لهجي متمازج يتكون من البداوة، واحتكاكيات لهجات الدول الشقيقة، وتناوب بين العربية الفصحى واللهجات المحلية، وبعض مصطلحات التمدن والتفصحن. لم تكن هذه اللهجة بمعزل عن الظواهر اللغوية المحيطة بها، بل استفادت من الظروف السياسية التي ساهمت في تكوين المملكة الأردنية الهاشمية، ومن الأحداث الكبرى المرتبطة بالقضية الفلسطينية والقضايا المستمرة في الشرق الأوسط، إضافة إلى تأثير الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. ومع ذلك، استطاعت اللهجة الأردنية أن تكوّن مصطلحات وتراكيب لغوية مميزة تشير إلى قائلها أينما حلّ عربيًا، فتعرفه الأردني على الفور.

الأردن بلد عربي يدين بالإسلام، ويمتزج فيه العرف الاجتماعي بالعادات والتقاليد، التي تتشعب بين الفرد والمجتمع، بحيث يصبح الفرد أسيرًا لهذه العادات؛ فليس له الحق في التصرف خارج نطاقها، وأي خروج عنها أو انحراف عن ممارستها يُعرّض صاحبه للإحراج والمساءلة (Obeidat, d.t, 11-14). وهناك محظورات اجتماعية تفرضها الأعراف والتقاليد، فلا يسمح للفرد بتجاوزها، وإن خالفها وقع تحت طائلة العرف أو ثقافة العيب، فالمقبول في مجتمعنا قد يُستهجن في مجتمعات عربية أخرى أو عند الغريب.

أما المحكية الأردنية، فقد حفلت بألفاظ خاصة ميزتها عن سائر اللهجات العربية، وإن كان هناك من ينبذ الاستعمال المحلي أو العاميّة، إلا أنها تبقى اللغة الأم، ولغة التخاطب غير الرسمي والمستخدمة في البيت (El-Sayed,1995,51). وتخللتها العديد من الظواهر اللغوية، من أبرزها ظاهرة المحظور اللغوي بشتى أنواعه، التي تفتح أفقًا واسعًا لدراسة تأثير الثقافة والمجتمع والدين في تحديد الألفاظ المحظورة واستعمالاتها الدقيقة.

بدايةً، تختلف مستويات الحوار والنقاش من شخص لآخر تبعًا لمستوى ثقافته، وتعليمه، ووعيه الديني، وعمره، ونوعه، ومكانته، إضافة إلى عادات وتقاليد المجتمع وأعرافه. فالحوار بين الأم وابنتها يختلف تمامًا عن حوارها مع ابنها، وإن كان صغيرًا يختلف عن شاب يافع؛ وقد تسمح الأم لصغيرها بأن يسبّها، باعتباره قريد العش، قائلاً: –

“>inti waḥdeh >ibtifhamīš” و “>inti miš >ummī”

“bahibkīš” و “ga<lik itmūtī”

وقانون ردّ فعل الأم في هذه اللحظات يكون مباشرًا وفوريًا، منبسطًا وسريعًا؛ قد تحتضن ابنها وتقبله، أو تكتفي بسكوتها مصحوبًا بابتسامة واضحة لا تستطيع إخفاءها إذا كان الطفل فوق العاشرة. أما البالغ الراشد، فكلّ الويل إذا تلفظ أمامها بالعبارة المحظورة؛ فيتلقى وابلاً من العقوبات المتنوعة حسب طبيعة العبارة.

وكذلك، تختلف لغة المعلمة مع طالباتها عن لغتها في حضرة المديرة، وتفترق أشدّ الافتراق أمام مدير التربية، فتضطر لتغيير أسلوبها تمامًا، كأن تقول للطالبات "hēy yā sittāt, >iḫrasin!!!" :

وللمديرة: يا مس أم محـمد ممكن تكتبي لي إجازة ؟!

و "يا دكتور قاسم، إذا تكرمت وتنظر بعين العطف في أمري؛ أن توافق على طلب نقلي إلى مدرسة أخرى". (لمدير التربية)

وكذلك، فإن ألفاظ طلاب المدارس تختلف عن حواراتهم مع أصدقائهم المقربين، كقول أحدهم لزميله في الصف: –

"wak yā šalib , hāt elkalam"

وقيلته لصديق له لم يره من أسبوع :

"wēnak yamšaḫmen ,yam<affin , wēn kāyin?

وآخر يطلب أباه:–. "yābah, baddī leyrah, w >ida badkīš ta<□īnī, <ādī ,badabber ḥālī !"

فالكلام يختلف أيضًا مع أولياء الأمور، فلكلّ منهم ألفاظه الخاصة التي قد تُستعمل في موقف ولا تصلح أو تصبح محرّمة في موقف آخر؛ فالمباح في مقام قد يصبح محظورًا في مقام آخر. لذا؛ يستدعي الأمر تقسيم المحظورات اللغويّة استنادًا إلى ما تقدّم إلى عدة أقسام محدّدة، لتوضيح طبيعة استعمال كل لفظة وظروفها الاجتماعية والثقافية والدينية والنفسية.

الممنوعات اللُغويّة الدينيّة: المجتمع الأردنيّ مجتمع ملتزم – إلى حدّ كبير– دينيّا؛ فالمحظور الدينيّ هو الحرام على مستوى الشريعة الإسلاميّة وتطبيقها في المجتمعات الإسلاميّة والعربيّة ليس فقط في الأردن وحده؛ ومن ذلك، الأقوال المحرمة: كالكذب والغيبة والبهتان والنميمة والفجور في القول، وكلّ ما يوصل إلى حرام، أو التلفظ بأي لفظة فيها مساس للذات الإلهية أو الأنبياء أو الصحابة، وما إلى ذلك، بالسِّباب والشتم والذم ومنها حظر ذكر الجلالة في بيت الخلاء أو موضع نجس، أو تجريح الوالدين وقدحهما و قذف المحصنات؛ فالدين والمجتمع – والنفس البشرية – تأبى مثل هذه السلوكيات والأقوال، حاشا من لا دين له، وعُدّت محظورة دينيّا مطلقا وكلّ لفظ يؤدي إلى معناها، وللأسف نجدُ سِباب الأطفال والشباب يعجّ بمثل هذه الألفاظ صراحة في المدرسة و الشارع والسوق، وفي البيت أيضًا، كقول بعضهم: –

"يلعن اللي.." و"يفضح اللي .." و"يقطع اللي... " مردفة باسم الجلالة _ استغفر الله ربي العظيم _ أو بأحد الوالدين، أو باسم أخت الملعون أو اسم عزيز عليه:

aḥ <arḍ >uḫtak, yel<an illī ḫalakakż yel<an >omak, yef

ويبقى دور الأسرة في ترسيخ أواصر أطفالها بدينهم حجر الأساس في بناء الفرد المتوازن أخلاقيًّا ونفسيًّا، فهي المدرسة الأولى التي يكتسب فيها الطفل القيم والمبادئ، والقدوة التي يقتدي بها في حياته اليومية، ويصبح تكثيف الوعي الديني منذ الصغر أمرًا حيويًا لترسيخ مفاهيم الحلال والحرام، مع تعليم الطفل احترام المحظورات الشرعية والاجتماعية، والتمييز بين المقبول والمحظور. كما تتجلّى أهمية الأسرة أيضا في تفعيل الرقابة الداخلية والخارجية عبر الملاحظة اللطيفة والنصح المستمر والتوجيه الذكي، بما يوازن بين الحرية والتقويم، ويحوّل الأخطاء إلى تجارب تعليمية، فيتعود الطفل

على التمييز بين الصواب والخطأ قبل أن تُفرض عليه قيود المجتمع، فيغدو فردًا واعيًا مسؤولًا، قادرًا على مواجهة متطلبات الحياة وفق قواعد دينه وعرف مجتمعه، محافظًا على نفسه ومبادئه في آن واحد.

الممنوعات اللُغويّة السياسية: لطالما كانت السياسة منذ الأزل محركًا رئيسيًا لتقدّم الحضارات، سواء سلبًا أو إيجابًا، من خلال منح الحريات لأفرادها، وتعدد الأحزاب، وفرض القوانين والدساتير، وسَنّ السياسات الاقتصادية والخارجية والداخلية. وغالبًا ما تلجأ الدولة، تحت مسمّى التغيير أو التعديل أو النهوض، إلى فرض قوانين وإجراءات قد يرفضها الشعب أو طائفة منه على الأقل، وتختلف استجاباتهم تجاهها: فمنهم الثائر على الحكم، الناقم على السياسة، المتوقّع للحرية بلا ضبط أو احترام لحقوق الآخرين، كما تجلّى ذلك في ثورات الفراعنة المصريين وإخواننا التوانسة والليبيين والسوريين؛ ومنهم من يتقبّل القوانين الصارمة أو المجحفة إيمانًا بالتغيير المنشود والنهضة والإصلاح، وقد يلجأ بعضهم إلى تقبّل الأمر مع شعور بالنقم الداخلي، فيعبّر عنه بطريقة رمزية مقبولة اجتماعيًا وسياسيًا، كاستخدام الطرائف والنكت الهزلية، التي تمنح متنفسًا للكبت النفسي للمجتمع وتعكس حالة الحرمان من الحرية أو الخوف من الحكومة (Al-Rubaie, 2010,63)، مع تجنّب العقوبة والردع الناتج عن المكاشفة المباشرة.

ومن خلال دراستي لعينات الألفاظ، لم أصادف أحدًا تلفظ بلفظ محظور يمس القيادة العليا، حتى بين صغار المجتمع، وعلى الأرجح يعكس هذا وعيًا سياسيًا وخوفًا من العواقب المستقبلية. ومع ذلك، رصدتُ الكثير من السبّاب الموجّه إلى عدد من المسؤولين وذوي المناصب الجارفة في الدولة، مثل وزير التربية السابق، ووزير الداخلية، ووزير الشباب، ووزير الصناعة والتجارة، حيث أُلفظت عليهم كلمات وتصريحات تتراوح بين النقد اللاذع والسخرية، كقولهم: –

١– " الله لا يوفقه ween mā rāḥ ".

٢– و " الله يتقلده بمرض ما يطلع منه ".

٣– أو " الله يرحم أيامك يا سرور " في معرض تهكّمه على الوزير الحالي.

وتكثر مثل هذه الأقوال على صفحات التواصل الاجتماعيّ، خاصة إن كانت متاحة للجميع، يُدلي كلّ منهم بدلوه؛ ففي صفحة لـ (نقابة المعلمين)، طُرحتْ مشكلةُ العنف ضد المعلم، وتراوحت الآراء بين مُؤيدٍ ومُعارضٍ ومُناهضٍ وثائرٍ ومُتوعدٍ ومُهددٍ، أذكر منها: –

١– :"kulkom kaddābīn".

٢– و "أنتم ما بتنفعوا لتحمونا، أنتم عالة على الوطن".

٣– "لا ندري لماذا ننتخبكم؟ حتى تركبونا وتضربونا بقراراتكم"

٤– وانظروا إلى أسلوب السخرية في :" قرارات حكيمة — ما شاء الله — من نقيب المعلمين، الله يعوض علينا خير بهذا الوطن، الذي كلّه خير".

أما النكات البليغة: قول الشارع الأردنيّ تعليقا على نتائج خطة رئيس الوزراء هاني الملقي المؤطرة زمنيًا بتسعة أشهر: "مبروك، الحكومة حامل، واقتراح أن تضع مولودها في سبعة أشهر".

و "مرّة واحد أردنيّ، كفّـاه الراتب لآخر الشهر، سحبوا منه الجنسية".

و في كاريكاتير يتناول ظاهرة ارتفاع الأسعار، تبكي امرأة رثّة الثياب بكاء حارقا وتقول: –

yirabbihkum kataltūnā allāh lā،.

فتجيب الحكومة متقمّصة دور الرجل السمين: والله مش أنا.

وفي واقعة أخرى تجسّد واقع الشارع الأردني، يتساءل أحدهم مستنكراً: «إلى متى نظل في عنق الزجاجة؟ أما آن لنا أن نتحرر منها يا رزّاز، يا وريث الملقي؟»؛ إنه نقد لاذع لواقع الحياة الأردنية، وتجسيد لكبتٍ داخلي تجاه الحكومة والسياسة، إلا أن الناقم لا يُجاهر به علانية، بل يلجأ إلى الرمز والإشارة، والتعريض بالنكت، والسخرية والاستهزاء، لينتقد الواقع بطريقة ذكية، مستهدفًا التنفيس عن دواخله المحتقنة والمثقلة بالغضب.

وقد رأيناه يُكنّي الوزير بصفةٍ أنثوية، وهي «الحمل»، لما في ذلك من شبهٍ مجازيّ يربط بينه وبين خطّته الزمنية، معتبرًا أن الحكومة، كما عهَدها الأردنيّون، لا تهتم بالمواطن إلا لتحصيل الضرائب ورفع الأسعار. وكأن تلك المرأة الباكية، كناية عن الطبقة الكادحة، قد أثقل كاهلها جرعات رفع الأسعار ومديونياتها الأسرية، حتى لم تعد تطيق ذلك، ففزعت باكية مسترحمة ربها. أما الرسام، فقد بدا وكأنه زاد جرعة المحظور في دعائه: «الله لا يربّحكم»، فكانت إجابة الحكومة منكرة: «والله مش أنا». وكذا الحال في سياسة عنق الزجاجة، التي لا يُنال منها سوى وعود المسؤولين وأصحاب النفوذ الاقتصادي، بينما تظل المديونية الشعبية اللامتناهية عبئًا ثقيلًا على الأردنيّين.

الممنوع اللُغويّ النفسيّ: الكلمات المحظورة عادةً ما تتعلق بموضوعات شائكة، أهمها الخرافات والأساطير التي تغرس الخوف في النفس، أو ما يُشار إليها بـ«الموت» الذي لا يُحب ذكره أحد، ويُعدّ مكروهًا في جميع المجتمعات (El-Sayed,1995,169).

وقد فسّر فرويد حالة الفزع من الموت بقوله: "بما أن الموت غالبًا ما يُعتبر أسوأ مصيبة يمكن أن تصيب الإنسان، فإن المرء يعتقد أن الراحلين غير راضين عن مصيرهم، وحسب فهم الشعوب البدائية، لا يموت المرء إلا بالقتل، سواء بالعنف أو عبر السحر؛ لذلك يُنظر إلى الروح على أنها تنشد الانتقام، وأنها قابلة للإثارة، ويتوهم أنها تحسد الأحياء، وتشوق إلى الاجتماع بالأقرباء القدامى، ومن ثم تصبو إلى إماتتهم بواسطة الأمراض لتتحد معهم.(Freud,1983,82) "

إنّ ذكر لفظة الموت، وخصوصًا على لسان الطفل، يثير النفوس، فتنفِر الأم داخليًا لإسكاته، توهّمًا منها أنه ينبئ بوفاة أحدهم، أو طيرًا من اللفظة عمومًا، أو لأي سبب يُحتمل أن يؤدي إلى وقوعه؛ كالأمراض العضوية، والأوبئة، أو الأمراض المرتبطة بالجنّ — في اعتقاد البعض — كالحسد أو المسّ والسحر، وما يصاحبها من أوجاع جسدية لا يفلح معها العلاج الكيميائي.

نقف إذن أمام قضية مزدوجة الوجهة: الموت والجنّ، وما يحيط بهما من أقوال وخرافات تولّد مخاوف نفسية من المجهول الذي لا نراه، ومن القدر المكتوب الذي لا مردّ له. وقد أفضت هذه المخاوف إلى إثراء المحكية الأردنية بألفاظ محظورة، حرص المتكلمون على تجنّب ذكرها صراحة، لتصبح لغة المواربة والتلميح والتغطية جزءًا من نسيج الكلام اليومي. تشكو إحدى السيدات أمر ابنها:

“wallāhi, waddeytuh <a ššīh wu ḥakālī:
kullel adweyyah wel <ilāgāt mab tinfa<uh, hassa< bakra <arāsū.”

وتردف قولها بـ (أعوذ بالله، هو محسود يا شيخ!) و "huwa maḥsūd wallā ṡāiybuh >išī"

أعوذ بالله منهم، رحمتك يا ربي!

وتصِف إحدى الزميلات: "يا حرام، أمّ سالم طلعت مريضة بهذاك المرض _الله يبعده عنا _ ويعافينا ويعافيكن " وتعقّب الأخرى على كلامها: اللهم عافنا، ومن متى عندها _أعوذ بالله منه _؟

وشيخ ينادي في المسجد: "كلّ من عليها فان* ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام" ، "انتقل إلى الرفيق الأعلى الحاج أبو فلان"، و"انتقلت إلى رحمة الله تعالى الطفلة فلانة".

وقول مثقف: "لقد وافته المنية". وآخر: "انتقل إلى جوار ربه ". وامرأة تقدّم تعازيها: "يرحم ما فقدتِ، رحمة الله عليها، البقية في حياتك".

وذاك يقول: "البقاء لله"، "اللي خلّف ما مات"، "توكّل على ربك"، "العوض بوجه الكريم"، و"عظّم الله أجركم"، و"العوض بسلامتكم".

وعبارة من أستاذ جامعي: "أحسن الله عزاءكم". ومن مختار قرية: "طولة العمر إلكم، والله، إنّه فَقِيدة" .

كلّ هذه العبارات، وإن بدت أدعية ترّحم، تحمل في جوهرها تلطّفًا وتخفيفًا لوقع مصيبة الموت على النفوس، فهي تعمل على تهدئة الشعور بأن الموت واقع لا مفر منه، وأن الإنسان سيحل يومًا ما مكان المتوفّى. كما تعبّر عن مواساة لأهل الفقيد، وهو شعور ديني نبيل، حثّ عليه الإسلام وكرّسه المجتمع الأردني بعاداته وتقاليده.

أما الأمر الثاني فيتعلّق بتحرّج بعض الناس، خصوصًا النساء، ممن لا يمتلكون وعيًا دينيًّا كاملًا حول متعلقات الجنّ وقواهم، فهنّ يؤمنّ بإمكانيتهم على الإيذاء أو السحر بمجرد ذكر أسمائهم أو جنسهم، فيستخدمن ألفاظًا تحفظ النفس من الضرر، مثل: "شفت بسم الله الرحمن الرحيم"، أو "حسيت إنه أعوذ برب الفلق"، أو "هذاك الملعون"، و"دستور، دستور"، و"اسكت لا تسمعك الأسياد فيضرّوك."

ولهذا نجد بعض النساء تعلق التمائم، وتوقد المباخر، وتنفث الدخان في أرجاء البيت، كوسيلة لطرد الأرواح الشريرة وجلب الحظ السعيد، وهو سلوك يعكس تمازج الموروث الديني والخرافي في الوعي الشعبي، ويبيّن أثر المحظورات اللفظية والخوف من المجهول في تشكيل سلوكيات المجتمع اليومية.

هذه إسقاطات نفسيّة لا شعورية، تتعلق بالمخفيّات المشؤومة التي يُعتقد أنها تسبب عدداً من الحوادث في الطبيعة، فتفرض على النفس حالة من الحذر والتوجس المستمر. فهي، بحسب فرويد، "قوة سحرية غريبة تلازم الأشخاص والأرواح، ويمكن انتقالها عن طريق الأشياء الجامدة، فالأشخاص والأشياء الذين هم تابو يمكن تشبيههم بأشياء مشحونة كهربائياً، هم موضع قوة رهيبة تنتقل باللمس وتتمخض عن ويلات، وعاقبة انتهاك المحظور تأتي بالاحتكاك المباشر وإصابته بالعدوى الروحية والسخرية، أو بالتفكير به سيؤدي إلى شعوره بالاكتئاب العميق ثم الموت " ((Freud,1983,43)).

ولهذا، ترى بعض النساء يتملّكنهنّ الخوف والجزع لمجرد رؤية قط أسود اللون، فيهلّلن مذعورات: "أعــوذ بالله منك !!"، أو حين يسمعن حسيسًا غامضًا في البيت، يلتفتن

بحذر شديد ويعقّبن الصوت وهمسًا داخليًّا: "بسم الله، بسم الله، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"، كما لو أن الكلمات نفسها تشكّل درعًا واقيًا ضد الشرّ الغامض.

وتتجلّى هذه الممارسات النفسية في سلوكيات يومية دقيقة، حيث تتداخل المخاوف مع الطقوس الدينية والعادات الشعبية، فتخلق منظومة من الإجراءات الاحترازية الداخلية والخارجية، والتي تهدف إلى حماية النفس من التأثيرات الخفية والتهديدات الروحية، ويظل أثرها ممتدًّا في وعي الأفراد وسلوكياتهم حتى في أحلك اللحظات ((Freud,1983,43)).

*** الممنوع اللغويّ الاجتماعيّ**

تشكّل الظواهر اللغوية المحظورة في المجتمعات الإنسانية انعكاسًا مباشرًا لتركيبها الاجتماعيّ وثقافتها السلوكية، حيث تتداخل اللغة مع الأعراف والعادات والتقاليد لتصبح أداة تحكّم ضمن منظومة القيم المقبولة والمرفوضة. وفي البيئة الأردنيّة، نجد أن هذه الظواهر اللغوية الاجتماعية تأخذ أبعادًا خاصة تنبثق من التفاعل بين الفرد والمجتمع، ومن طبيعة الروابط الأسرية، ومن مستويات النفوذ الاجتماعي والسياسي والديني، لتنشأ لغة محكومة بضوابط واضحة وغير مكتوبة، تُحدّد ما يجوز قوله وما يُحرّم تلفظه.

وقد أفرزت الدراسة التي أُجريت في هذا الإطار مجموعة من المسكوكات اللغوية التي تصنّف ضمن ما يُعرف بالممنوع اللغوي الاجتماعي، وقد تمّت دراسة هذه المسكوكات عبر حقول دلالية محددة، بما يعكس عمق ارتباط اللغة بالمجتمع وثقافته، ووعي الأفراد بالمحظور الاجتماعي، وحساسية الفرد تجاه التلفظ بما قد يخرق الأعراف السائدة أو يمسّ شعور الآخرين.

وقد تمحورت هذه الحقول الدلالية حول أربعة مجالات رئيسة، تمثل أبرز الجوانب التي يلتزم فيها المجتمع الأردني بسلوكيات التحفظ اللغوي –:

١– المَرأة :الألفاظ المرتبطة بها وما يُستحسن عدم التلفظ به حفاظًا على الحياء والآداب الاجتماعية.

٢– الأمور الجنسية :الكلمات والعبارات المرتبطة بالعلاقات الجنسية وما يُعدّ خادشًا للحياء.

٣– العمليات الإنسانية الحيوية :مثل التبوّل والتبرّز والموت، وما يستتبعها من حساسيات ثقافية ودينية.

٤– النفوذ الاجتماعيّ :الألفاظ المرتبطة بالسلطة، والتأدّب في مخاطبة ذوي المكانة أو النفوذ في المجتمع، بما يعكس احترام التسلسل الاجتماعي والتراتبية.

أولاً: المَرأة

"من البدهي أن الحديث بصورتيه كلام ذو خصوصية، فهو نوع من الكلام ملك لصاحبه، ومرآة لشخصيته وموقعه، يُرسل في ظرفه وملابساته، ويُعد وسيلة مهمة من وسائل التواصل .(Bishr,1997,80) " فالإنسان الذكي الفطن، الذي يحمي نفسه من الوقوع في المحظورات الصريحة، إذا ما توجب عليه التعبير عن معنى ما، فإنه يحوم حوله بلفظ متلطّف يناسبه. وهذا ما يلمسه الباحث بوضوح في حقل المرأة ومتعلقاتها، إذ تُظهر محكيّة الأردنيين نسبة عالية من المحظورات اللغوية في هذا المجال مقارنة بباقي المجالات.

تحظى المرأة في المجتمع الأردني بمكانة متميزة، فهي جوهرة الرجل الثمينة التي يحرص على الحفاظ عليها، ولو تطلّب الأمر بذل روحه، لقيمتها المعنوية والأسرية والاجتماعية. يسترها أحيانًا بالحجاب، ويرافقها في الأماكن

العامة، ويحاول قدر الإمكان ألّا يُفصح عن اسمها أو أي صفة من صفاتها الجسدية أو المعنوية صراحةً أو إضمارًا. فمستحيل أن يتحدث الرجل عن زوجته أمام أصدقائه بما يمس خصوصيتها، وإذا حدث وتكلّم، فغالبًا ما يكون في الأمور العامة التي يعلمها الجميع، مثل: من أين تزوجت؟ وهل هي متعلّمة؟ وما تخصصها إن كانت جامعية؟ وكيف تمّ النصيب؟

أما في أحاديث الهاتف بينه وبين أصدقائه، فإن الرجل يتجنّب ذكر اسمها المباشر، فيخاطبها بكنيتها أو بعبارة عامة مثل: "يا مرة"، "أم الأولاد"، "عيلتي"، "أهلي"، "مرآتي"، أو "حرمي"، بحسب السياق والمناسبة. وفي أحيان أخرى، إذا شعر بالراحة أمام أهلها أو في محيط خاص، ينفلِت حديثه قليلاً، متغزّلاً بأجمل الألقاب وأقربها إلى قلبها، مثل: "حبيبتي"، "غزالتي"، "قطمة قلبي"، "حبي"، "عيوني"، "أمورتي". مع مراعاة أن هذه الألقاب تُحظر تمامًا في الشارع، السوق، أو الأماكن العامة، احترامًا للحياء والضوابط الاجتماعية.

وعند الانتقال إلى دائرة أوسع، نصادف جماعة المثقفين؛ فالأستاذ الجامعي قد يُلقّب زوجته بـ"الأميرة"، وآخر بـ"مولاتي"، وقد تُستعمل الألقاب أحيانًا للتعبير عن الاحترام وعلو منزلة المخاطَب، مثل: "يا ميمتي"، "يا حجة"، "يا ستي"، "يا هانم"، "يا مدام"، "يا تيتا"، أو لتقريب المودة والتودد، كأن يقول الزوج: "يا غزالتي، وين الغدا؟."

وربما أعطى الرجل مكانة متميزة لزوجته، تقديرا لمشاركته في نفقات البيت، وتراه لا يُقدِم على أمرٍ إلا بعد استشارتها؛ فيقول لصديقه: "أمهلني وقتا حتى أفكِّر في الموضوع".

فيردّ عليه صديقه: yᾱ zalameh, >ibtekdareš ">illᾱ tᾱẖuḏ rᾱy wizᾱrit iddᾱẖīliyah!"

بالنبر الشديد على الداخلية وتطويل نواة الخاء، تعريضا لصاحبه بقلة إدارته الداخلية دون الرجوع إلى زوجته.

أو قوله أيضًا: "أفهمُ إنّه حكومتك عندها رأي ثاني؟" (بنبرة الاستفهام التعجبي) وبدون هل.

ويقال أيضًا: حضر الوزير وعقيلته، فلا يقال زوجته أو حرمه.

وعلى الجانب الآخر، تتباهى المرأة في حديثها عن زوجها أمام الأخريات، فلا تتحرّج من ذكر اسمه أو كنيته، أو من وصفه بـ"جوزي" أو "حبيبي" و"عمري". ويظهر ذلك في سياقات مختلفة، فتستخدمه للتعبير عن المودة والاعتزاز بعلاقتها، أو للإشارة إلى مكانته وحنانه وكرمه في نظرها. ومع ذلك، فإن هناك تفاوتًا بين النساء في مدى انفتاحهنّ في الحديث عن أزواجهن، فليست كل النساء متساويات في هذا الصدد، إذ تتفاوت الجرأة بحسب الشخصية والمستوى الاجتماعي والثقافي، وعلى العكس من الرجل الذي يقع في حالة إحراج عند التحدث عن زوجته أمام الآخرين، فإن المرأة، في الغالب، تجد في هذا الحديث وسيلة للتعبير عن الحب والفخر، وتكشف عن مشاعرها بحرية أكبر ضمن حدود العرف الاجتماعي الأردني وتقليداته.

ثانيا :– الأمور الجنسية

وهي أمور تلطّف فيها الذِّكر الحكيم كثيرًا؛ لما لها من أثر في الحفاظ على حُرمة النوع البشري، وعلوّ وشرف العلاقة الزوجية التي تؤدي إلى الزواج وتكاثر البشر، وإعمار الأرض، وفق مشيئة الكريم. ومن ألفاظها التي استعملت في النصوص الدينية والاجتماعية (Abu Zalal,2004,120-124): الزواج، المباشرة، التقرّب،

مسّ النساء، الحرْث، الإفضاء، الرفث، النكاح، والوطر. ويشير هذا التعدّد إلى حرص المجتمع على تجنّب ذكر المعنى بذاته؛ لما قد يسببه من إحراج وإرباك للفرد، طلبًا للحياء والالتزام بالآداب العامة، ويُحظر التطرق إلى هذه الأمور أمام الأطفال، تفاديًا لسيل من الأسئلة المحرجة والفضولية التي قد تنشأ لديهم.

وقد رصدت الدراسة عدداً من هذه الألفاظ في البيئة الأردنية اليومية؛ فتقول إحداهن عندما ترى زميلتها في الصباح الباكر مشرقة على غير عادتها: "يا سلام، والله عروس، ما شاء الله عليك"، فيُفهم المعنى إيجابيًا، بينما ترد زميلتها بسخرية لطيفة "mitḥammimeh?!" :لتشير بطريقة غير مباشرة إلى اكتشاف أمرها وافتضاحه.

وتتفاخر بعض النساء بعلاقتهن أمام صديقاتهنّ، مستخدمات عبارات مثل: "ليلة أُنْس"، أو "ليلة من ليالي ألف ليلة وليلة"، أو "ليلة من الآخر"، وأحيانًا "ليلة حمرا"، لتكون بذلك ألفاظًا رمزية تعبر عن المحظور بطريقة ملتفة، تراعي الحياء الاجتماعي والخصوصية الفردية.

وطفل ينقل خبرًا لأمه: "التلفون فيه (هَمَالة)!"

والرجل في هذا الموضوع يتحرّج من افتضاح الأمر أو التلميح له صراحة أو ضمنًا؛ لأنه يكاشف عن زوجته التي تعهّد بسترها، ناهيك عن أن هذا الأمر من المسلمات الطبيعية المترتبة على الزواج والالتزام بالحياء الاجتماعي والديني. لكن الوضع يختلف في إطار علاقات الشباب غير الشرعية؛ إذ نلاحظ أن بعض الشباب يتباهى أحيانًا بافتضاح هذه العلاقات صراحة أمام أصدقائه، مفتخرين بعدد الفتيات اللواتي يتوددن إليهم، وفي بعض الحالات يجرؤون على استعمال ألفاظ فاضحة ومحرّمة دينيًا، مساسًا بكرامة الآخرين وهتكًا لأعراض النساء – أعاذنا الله وهداهم. وقد يصف هؤلاء فتياتهم ونساءهم بصفات تتنافى مع قيم الحياء، وتثير النفور، مثل: (šlokkah, wikḥah, kaḥbah, šarmūṭah, siksī, karnībih,na<geh, kalbih, manyūkah)، ما يعكس طبيعة المحظور الاجتماعي والديني في المجتمعات المحافظة، ويبرز الفارق بين الالتزام بالقيم الزوجية وبين التصرّف خارج حدود الشرف والحياء، مؤكدًا على أهمية الضوابط الاجتماعية والدينية في ضبط الألفاظ والسلوكيات المرتبطة بالمرأة.

وأحيانًا يذكر بعض الأفراد هذه العملية بلفظتها الأجنبية(sex) ، ويطوّعها للعربية وفق رؤيته الشخصية، بما يتناسب مع نفسيته ومقامه الاجتماعي، ليُعبّر بها عن نفسه أو يُهكّم على الطرف الآخر. وتظلّ هذه الألفاظ محظورة اجتماعيًا ودينيًا، ويتحرّج سامعوها أكثر من قائليها، خاصة إذا وُظفت في السباب والشتائم، حيث يندر أن يذكر السابّ فعلًا من هذا النوع إلا في سياق استهداف أحد الأطراف من العائلة، كالأخت أو الأم، مستخدمًا أفعالًا مشينة (kuss ommak, laflaḫ > oḫtak)> لإثارة الطرف الثاني وتصعيد الانفعال، ما يضاعف حدة المشكلة بين الأطراف.

وتزداد خطورة هذه الألفاظ إذا تواجد أطفال في المحيط غير قادرين على فهم السياق الاجتماعي والدلالي لها، إذ قد يتسبب ذلك في وقوعهم في المحظور الفعلي إذا استوعبوا المعنى الحقيقي. ومن هنا تأتي أهمية تدخل الوالدين أو المسؤولين عن الطفل لتوضيح هذه المحظورات بأسلوب مهذب وواعٍ، بما يتناسب مع عمر الطفل ومستوى وعيه، للحفاظ على التربية الصحيحة وفهم حدود التعبير الاجتماعي المقبول.

ولا يقف أمر المحظور اللغوي عند حدود العلاقة الزوجية أو التلميح إلى الممارسة الجنسية فحسب، بل يمتد إلى موضوع أكثر حساسية، يتعلق بالأعضاء التناسلية ومتعلقاتها؛ فبما أن هذه الأعضاء مرتبطة بالعلاقة المحظورة اجتماعيًا ودينيًا، فقد خضعت لمستوى عالٍ من الرقابة اللغوية والتعبيرية. ففي اللهجة الأردنية يُستعاض عن لفظة الثدي باسم (صدرها)، وعن فرج المرأة بكناية (عيب الفتاة)، بينما يُرمز لذَكر الرجل أو قضيبه بلفظ (البضاعة)، ويُستعمل مصطلح (طهور) للإشارة إلى الختان لأنه يزيل الغلفة عن العضو الذكري. وللأطفال الذكور أسماء لطيفة وملطفة مثل: (فرفورة، طرطوشة، حمامة)، تهدف إلى تجنب أي أثر صريح للمحظور على وعيهم الصغير.

وتتداخل هنا ظاهرة النكات الجنسية، لتشكل متنفسًا شبه واعٍ للكبت النفسي الذي يعتري المجتمع الأردني أو المجتمعات المحافظة إلى حدّ ما. فكما يقول الباحث صاحب الربيعي: "وهناك الكبت الجنسي الذي يثقل وجدان مجتمعات العيب، ويجري التنفيس عنه بإطلاق النكات الجنسية خاصة المتعلق منها بأساليب ممارسة الجنس أو على نحو يخصّ الأجهزة التناسلية للأنثى أو الذكر، فالذكور يطلقون نكاتهم الجنسية على النساء، والنساء يطلقنها على الرجال، وتنعدم تقريبًا هذه النكات، وما ينال الجنسين في المجتمعات التي لا تعاني حالة الكبت الجنسي، بل إن إطلاقها في كثير من الأحيان لا يثير الضحك بقدر ما يثير الدهشة والريبة في أن مطلقها يعاني حالة الكبت الجنسي! فالمجتمعات المكبوتة تطلق نكاتها الجنسية في حالة واعية دافعها الأساس إثارة الضحك أو لخلق أجواء من المرح، لكنها تعبّر في اللاوعي عن معاناتها الجنسية الكامنة.(Al-Rubaie,2010,63) "

ومع انتشار وسائل التواصل الاجتماعي، أصبحت هذه النكات تُبث بكثافة، وتمثل صورة حديثة لغزارة الإنتاج المحظوري الجنسي، ما يعكس استمرار الدور الاجتماعي واللغوي للكبت والرغبة في التنفيس عن المحظورات بأساليب متوارية وراء الدعابة والرمزية.

ثالثا :– العمليات الحيوية الإنسانية

وهي تلك النشاطات الطبيعية التي تتصل بالحاجات الأساسية لحياة الإنسان، كعملية الإخراج والتبوّل والتعرّق والارتجاع، وأيضًا الحيض وغيرها من العمليات الحيوية الضرورية لاستمرار الحياة. ولما كانت هذه الأمور حساسة ومحرجة اجتماعيًا، يلجأ الفرد أحيانًا إلى استخدام المحظور اللغوي للدلالة عليها، طلبًا للباقة والتهذيب أثناء الحديث، ولتفادي الشعور بالحرج أو الإحراج الذي قد ينجم عن ذكرها صراحة. ويتجلى ذلك في مختلف المقامات الكلامية، حيث تتباين ألفاظ التعبير بحسب الموقف الاجتماعي والعمر والجنس؛ فمثلاً عند الحديث عن عملية الإخراج أو التبرز، يُستعاض عن التعبير المباشر بكلمات ملتفة وملطفة تُراعي الحياء العام، مما يعكس وعي الفرد بقواعد اللباقة والضوابط الاجتماعية المحيطة به، ويتيح له الاستمرار في التواصل دون المساس بمبادئ الأدب المجتمعي.

١– كقضاء الحاجة، في عبارة: (ممكن أروح ع الحمام ؟) وطالبة تستأذن للذهاب إلى التواليت أو دورة المياه أو (w.c).

٢– ورجل يقول لصديقه: أين حمامكم؟ أو (مزنوق) أو (بدي أريّح ضميري).

٣– وأم تؤنّب صغيرها قائلة: عملتها على حالك !!! أو "waṡṡaḫit yammā!!!"

طالب يشاكس زميله: “rōh rōh .>iẖrα̅< >aḥsannlak!!”

وأمٌّ تعلِّم ابنها الذهاب إلى الحمام:

“!!!”yallāh yammah , >i<mal >a<<ah
“yallah yammah , >i<mal kakkah !!”

وللبول أيضًا ألفاظه المشعرة بمعناه، وإن كانت أقل حدّة من سابقتها.

١- (كنت أطيّر ميّه) جواب شابٍ سأله أصدقاؤه عن غيابه الوجيز.

٢- أو (baddī >ašuẖ) وهي مقولة معظم الأطفال لأمهاتهم.

٣- واللباس الداخلي يقال عنه: " under wear" بدلا من لفظ : kalsōn

ومن أم لابنها أمام زميلتها أو في بيت راقٍ: يا ماما bibbīh) ع التواليت لنعمل (yallah <inrūḥ)!،وأحيانًا تقول "nūnū" !

وفي ألفاظ خروج الريح: -

تتذمر طالبة من الرائحة في الصف: “ >iffī , >ēš harrīḥah , ya<< !

وطالب لزميله: “ >intah ␣ašeythα̅?!”

أو عبارة: “walak ya <eybak , faseyt !?”

وأب لأولاده:!. Mīn naffas <an ḥα̅luh

وعملية القيء أو الارتجاع لها نصيبها من الحظر أيضًا: -

١- تشتكي ابنة: يمّا، راجعت الأكل كلّه! .

٢- وأمّ لابنها الصغير: ”>īh yα̅ mα̅mα̅ kadafit ?!“

٣- ويسأل الطبيب مريضه: هل استفرغتَ؟

وخروج دم المرأة هو الحيض، فيقال: حاضت المرأة، وهي حائض. وهي كلمة محظورة تحاول الفتاة والمرأة إخفاءها قدر الإمكان لا سيما أمام الذكور؛ فتسأل الأم ابنتها في سريّةٍ تامّةٍ: >igatek الدورة ؟

أو تقول الفتاة لأخرى: >igatnī >il<α̅dih .

وإذا أرادت أن تخبر زميلتها تقول: عليّ الراية الحمرا!!

أو تخبر جارتها أن ابنتها لم تغسل بعد، وكنّتْ بعبارتها أنَّ ابنتها لم تَحِضْ بعد.

وقد سمعتُ إحدى العجائز في قريتي تسأل عن حمل جارتها بقولها:- هل حوّشتِ ولأ بعدك؟

إذا ما دققنا جيّدًا في هذه الأمثلة اللهجية، نلاحظ أنّ ألفاظ هذه العمليات الحيوية تتنوّع بشكل ملحوظ مراعاة للباقة والأدب أولاً، وتجنّبًا للحرج الذي قد يُضفيه المعنى المباشر ثانياً، كما أنّ بعض الألفاظ تُلزم نفسها تلقائيًا لدى طبقات معينة من المجتمع، خاصة إذا تكلّمت بها سيّدات المجتمع الراقي، اللواتي ينتقين ألفاظهن بعناية فائقة ويفضّلن أحيانًا استخدام كلمات أجنبية أو مُخففة مثل :"بيبي، ككة، nuno، أوw.c "، ما يعكس وعيهن الاجتماعي والثقافي بحساسية الموضوع.

إضافة إلى ذلك، تتأثر بعض المحظورات بثقافة المتكلم ومستواه التعليمي؛ فمثلاً، الطبيب يتوجّه إلى استخدام مصطلح علميّ مثل (استفرغ) بدلًا من لفظة (راجع)، لتقديم المعنى بدقة وحيادية، وفي الوقت نفسه تفادي إيحاءات غير ملائمة أو حسّاسة في سياق الحديث العام، ما يوضح بجلاء دور البيئة الاجتماعية والتعليمية والمهنية في ضبط استعمال المحظورات اللغوية.

رابعاً: – النفوذ الاجتماعيّ

يشمل المحظور اللغوي الاجتماعي نطاقًا واسعًا من الضوابط المرتبطة بالاحترام والوضع الاجتماعي والبرستيج، أو ما يُعرف بلغة (الإتيكيت)، إلى جانب المكانة والمنزلة، ويشمل العديد من الألفاظ التي تتفاعل داخل هذه الدائرة الاجتماعية. فـ"يختلف التركيب اللغوي في أحاديث الأفراد اليومية تبعًا لمقتضيات الموقف نفسه، وكذلك تبعًا للأفراد المخاطبين أنفسهم(Attia,1982,34) "، كما أن "الفرد في حياته اليومية يتفاعل بصور شتى مع مواقف الحياة بكلّ ما فيها من موضوعات مادية وبشرية، وتتحدد استجاباته تبعًا لنوع التفاعل الذي حدث بينه وبين هذه الموضوعات " .(Attia,1982,20)وتتعدد مستويات الناس الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، وتتداخل هذه المستويات لتؤثر على أسلوب الحديث ولهجة المتكلم، بحيث يمكن من خلال ألفاظه الحكم على مستواه من حيث التهذيب والالتزام والثقافة والتعليم، أو العكس، بحيث يظهر أحيانًا جاهلًا، معيبًا، قرويًا، مدنيًا، سوقيًا، وهكذا.

ولا يقتصر الأمر على ما يظهر من ألفاظ فحسب، بل يمتد إلى السياق الاجتماعي الذي تُستعمل فيه هذه الألفاظ، فبعض الكلمات يمكن التلفظ بها في مقام معين، لكنها تُعدّ محرّمة أو غير مناسبة في مقام آخر؛ فالاختيار الدقيق للألفاظ يتحدد بحسب الطرف المخاطب والمناسبة. فمثلاً، قد يختار المرء ألفاظه بعناية فائقة عند مخاطبة أستاذ جامعي، بينما يكون أسلوبه مختلفًا عند الحديث مع زملائه في المحاضرة أو خارجها. وقد يفقد الفرد السيطرة على ألفاظه أمام أصدقائه المقربين أو داخل بيته مع العائلة، وفي حالات أخرى قد تفتضح ألسنة بعض الأفراد الذين يسيئون استخدام المحظورات اللغوية الاجتماعية، أو لا يريدون استخدامها في سياق لا يتناسب مع وضعهم الاجتماعي أو مع محيطهم، بينما تكون المكاشفة مسموحة إذا كانوا ضمن دائرة البرستيج أو المكانة الاجتماعية المناسبة.

وهناك أربعة مستويات يمكن تمييزها ضمن هذه المعادلة الاجتماعية في اللهجة الأردنية: –

أولاً: الألفاظ الرسمية :وهي تلك التي تتسم باللباقة والاحترام، وتبتعد عن الفحش أو الإحراج اللغوي، وتوصل المعنى مباشرة دون الاقتراب من المحظورات اللغوية، وتستخدم غالبًا في السياقات الرسمية والمهنية أو عند مخاطبة كبار السن والشخصيات المرموقة.

ثانيًا: الانتقال الواعي بين مستويات اجتماعية مختلفة : يحدث هذا عندما تنتقل أسرة من منطقة إلى أخرى تختلف اجتماعيًا ولغويًا، مثل أسرة تنتقل من إحدى مناطق إربد إلى مدينة عمان طلبًا لتحسين وضعها الاقتصادي. هنا يلجأ الوالدان إلى تعديل نمط حياتهم وأسلوب حديثهم بما يتوافق مع المستوى الجديد، بدءًا بانتقاء ألفاظ مناسبة للبيئة المحيطة وتلقينها لأولادهم، لتجنب أي إحراج لغوي أو اجتماعي.

ثالثًا: مجاراة التطورات التكنولوجية والمعرفية :فالألفاظ التقليدية قد تصبح قديمة أو مثيرة للسخرية أمام المصطلحات الحديثة. فمثلاً، قد تقول الطالبة: "اشترينا تلفاز"، فتصححها زميلتها: "يعني اشتريتوا شاشة أو بلازما؟"، حيث أصبحت كلمة (بلازما) من مصطلحات العصر التكنولوجي. كما يواجه بعض الأفراد إحراجًا إذا لم يستخدموا المصطلحات الحديثة، كما لو طلب شخص قرصًا مرنًا للحاسوب، فينهال عليه صاحب المحل بالسخرية: "يا عمي، هذا من زمان انقرض! هل تنفعك بطاقة ذاكرة؟". وتشمل هذه الظاهرة

أيضًا ألفاظ العرَبيزية الدخيلة مثل (w.c) أو (cupcake) أو (ok) أو (ساتلايت، موبايل، شاور، سشوار، شامبو، كيزر، فريزر، تابلت، وايت بورد).

رابعًا: الألفاظ المتفردة نوعيًا :يبرز فارق واضح بين محظورات الفتيات والشباب الذكور. فمثلاً، قد تتجنب طالبات الجامعة استخدام ألفاظ القرية التقليدية كالـ(كشكشة) أو (جهر القافي) أو (تفخيم المدي)، مستبدلات إياها بمصطلحات حضرية مثل (منخاري أو نوزي)، أو كلمات أخرى مثل (كيس، زعتر) لتجنب الحرج والظهور بمظهر حضاري ومتأدب. بينما قد يتصرف الشباب أحيانًا بعفوية أو بوقاحة حسب الموقف، إلا أن ثلة منهم تتقن الصنعة اللغوية لتكسبهم الوقار الاجتماعي والاعتداد بالنفس، ويعود ذلك للعلم والمعرفة والاحتكاك الاجتماعي واللغوي.

ومن المفارقات في اللهجة الأردنية اختلاف ألفاظ شيء واحد حسب طبقات المجتمع، مثل كلمة (النعل) التي تُقال: (سكربينه) لدى الطبقات الراقية، و(حفاية) لدى الطبقات الوسطى، و(شبشب، زنوبة، شحاطة) لدى الفقراء، بينما كلمة (ṡurmᾱyah) محظورة لغويًا وتستخدم من كبار السن في البيئات المعزولة أو في الخلافات لنعت شخص بالحطّ من قدره.

فعلى سبيل المثال، تقول معلمة أمام زميلاتها: "اشتريت إمبارح أجلّكم الله حِذا لبنتي"، بينما توجه لابنتها: "لا توسخي الكندرة يا ميس، لسّاتْها جديدة!"، ما يعكس فرق التعامل مع الألفاظ بحسب المقام والمستوى الاجتماعي والمخاطب.

وكلمة (انقلع) معناها في الأردنيّة —اذهب من هنا بسرعة، وهي في المعجم تحت الفعل (تقلّع) في مشيته: "مشى كأنه ينحدر" من علٍ ، لقوة مشيه (Ibn Manzur, 1994, 8/ 291)؛ لتختلف مستوياتها اللفظية حسب المتكلّم ومقام الكلام؛ فالمعلم يقول لطالب أزعجه:

"rōḥ عني بسرعة !"

وإذا تفاقم الإزعاج وأبى الطالب الذهاب يرفع المعلم من حِدّة الكلمة ويقول له:" <inkali> ".

وقد يدبّ خلاف بين الزوجين ويتراشقان بالألفاظ إلى أنْ تصرخ الزوجة:"ḥil <annī yᾱ zalameh !!"

وقد تكون من الوالد لابنه: "yallah , kō□er min hōn!

وعندما يُريد أن يلاطفه بها يقول: فرجيني عرض كتافك!!

ويتمازح الطلاب مع بعضهم في المدرسة فيقول أحدهم: " kaḥi□ min hōn"!!!

ويرد عليه آخر: ">inta >illī lᾱzim >itġabir <warᾱk!!"

وتكون المحظورات اللُغويّة ضرورية في مواقع العمل وخاصة ما يتعلق بأمور المرأة ؛ففي محل للأزياء الشرعية تقول صاحبته لمشتريةٍ: hᾱḏᾱ >imnīḥ <alīkī >iggilbᾱb

– لا، baddī نمرة أكبر، anᾱ nᾱṡhah šway> !!

– لا، أنت مليانة بس.

وفي المحل نفسه أيضًا:

– الفستان (امْقَزْمَر).

– >ašūf , bas šway ḍaiyk, halla> "baġayruh >ilik"

وفي أماكن معينة مثل المحلات الراقية للإكسسوارات، يتحلّى لسان صاحب المحل بألفاظ ناعمة

يغلفها بالرقة والتهذيب والتلطّف، لاستخدامه مع الزبائن من الجنس الناعم والجميلات، وهو ما ينطبق أيضًا على المصارف والوزارات والعيادات الخاصة والمحلات الراقية، حيث يراعى مستوى المخاطب الاجتماعي والثقافي. أما على الجانب الآخر، يبتذل بعض الشباب في استخدام الكلمات المحظورة بشكلها الأصلي دون حياء أو خجل، فكثير منهم "يكسر تلك القوانين، ويستعمل البذيء من القول ومن الأغراض الواضحة لهذا، للفت الانتباه إلى المتلقّي، خاصّة عندما يتوافر جمع غفير من الناس، بغرض جذب أسماعهم إلى ما يقول على شكل نكتة محظورة أو تعليق ممنوع أو ما يشابههما" ((El-Sayed,1995,172). وقد وصف فرويد مثل هؤلاء بأنهم (تابوا)، إذ "من ينتهك تابوًا يصبح بذلك هو نفسه تابوًا، وبعض المخاطر التي تنشأ عند انتهاك التابو يمكن اتقاء شرها بالكفارات وطقوس الطهارة " (Freud,1983,43).

ولا يسلم من سلوك هؤلاء الشباب – الذين يُعرفون اصطلاحًا بـ(أولاد الشوارع) – أي رجل أو امرأة، فهم قد يلجأون إلى السباب والشتم أو الاستهزاء، أحيانًا إلى مراشقة الأحجار أو التجسّس على خصوصيات المساكن وسرقتها، ما جعل حضورهم في بعض البيئات محظورًا اجتماعيًا وسلوكيًا. لذا، غالبًا ما يُشار إليهم بالذمائم دون ذكر أسمائهم، مع الاستعاذة والبسملة عند ذكرهم، وتُحذّر الأسر أبناءها من مصاحبتهم لتجنّب العدوى السلوكية والعدوانية و(هماالتهم).

الفرد الاجتماعي الذكي يدرك ضرورة انتقاء ألفاظ لغته وحظر بعضها عند توفّر المقام، بما يتلاءم مع حالة المخاطب ومستواه الاجتماعي المتنوع، ويلتمس دومًا أفضل الأساليب للتقرب بالاحتشام والحياء، ليس فقط لتغطية المعنى العميق، بل لتقديم صورة كاملة عن شخصيته وثقافته ومكانته الاجتماعية.

ثالثاً: النتائج

١- المحظورات اللغوية عبارة عن ألفاظ ومسكوكات لفظية تهدف إلى إخفاء معنى يعتبره المتحدث غير مناسب أو محظورًا في سياق اجتماعي أو ديني أو نفسي.

٢- المحظورات اللغوية ليست حديثة العهد، بل كانت موجودة في كتابات أوائل العرب مثل الثعالبي والمبرد وابن فارس، تحت عناوين مثل الكناية، التعريض، المجاز، التلويح، والإشارة.

٣- في العصر الحديث، تم تصنيف المصطلحات المتعلقة بالمحظور تحت مسميات مثل التابو، الممنوع، واللامساس، لتخدم جميعها نفس الهدف: حظر الألفاظ ذات المعاني الممنوعة.

٤- المحظورات اللغوية تتغير وتواكب الظواهر المجتمعية ومستجدات العصر، مع مراعاة المستويات الاجتماعية والتعليمية للأفراد.

٥- المحظور لا يغير المعنى، بل يلطّفه ويجعله أكثر قبولًا اجتماعيًا ونفسيًا ولفظيًا، مما يسهّل التواصل دون المساس بالموضوع المحظور.

٦- أكثر المجالات التي ظهرت فيها المحظورات في اللهجة الأردنية كانت متعلقة بالمرأة والأمور الجنسية، نتيجة التأثير الديني والموروث الثقافي المرتبط بالحياء والعيب.

٧- المحظورات الدينية أقل كثافة من المحظورات النفسية والاجتماعية، ويظهر ذلك في كثرة ألفاظ الجن والسحر والخوف في أحاديث النساء والأطفال وبعض الرجال، ما يعكس تفاوتًا في فاعلية الوازع الديني في المجتمع.

٨- اللُغة الأجنبية تُستعمل أحيانًا كبديل للمحظور لتغطية المعنى ولتحقيق غرض اجتماعي مرتبط بالتحضر أو الاسترقاء الاجتماعي.

٩- الخجل، الحياء، الدين، والخوف تمثل الأسباب الرئيسة لفرض المحظورات اللغوية في اللهجة الأردنية.

١٠- كثافة الوعي السياسي والديمقراطية في الأردن ساهمت في ظهور النكات السياسية كأداة للتنفيس عن المكنونات النفسية والاجتماعية، مع الالتفاف حول المحظورات بطريقة هزلية.

١١- بعض المحظورات اللغوية تتفرد بها الأنثى عن الرجل، وتختلف ألفاظها وفقًا للمقام الاجتماعي وحال المخاطب، مما يعكس تباينًا في الثقافة والوعي بين الجنسين.

١٢- أهم محظورات اللهجة الأردنية هي تلك الاجتماعية والسياسية والدينية والنفسية، والتي تتغير قيمتها تبعًا للسياق الاجتماعي والمقام، ويعكس ذلك العلاقة الطردية بين ثقافة الفرد وطبيعة المحظور.

*** المراجع**

اولاً- المراجع العربية

القران الكريم.

أنيس، إبراهيم. (١٩٧٤)، دلالة الألفاظ، ط ٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،.

أولمان، ستيفن. (١٩٧٥)، دور الكلمة في اللغة، ترجمة وتقديم وتعليق: كمال بشر، مكتبة الشباب، مصر.

بشر، كمال. (١٩٩٧)، علم اللغة الاجتماعيّ، ط٣، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة.

الثعالبي، أبو منصور.(١٩٩٩)، فقه اللغة وأسرار العربيّة، شرح وتعليق: ديزيره سقال، دار الفكر العَربيّ، بيروت .

الثعالبي، أبو منصور. (١٩٩٨)، الكناية والتعريض، تحقيق: عائشة حسين فريد، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة.

الخولي، محمد علي.(١٩٩٣)، مدخل إلى علم اللغة، دار الفلاح للنشر، الأردن.

الربيعي، صاحب. (٢٠١٠)، المرأة والموروث في مجتمعات العيب، صفحات للنشر، دمشق .

أبو زلال، عصام الدين. (٢٠٠٤)، المحظور اللُغويّ والمحسن اللفظي، دار الوفاء، الإسكندرية.

السكاكي، يوسف بن محمد. (٢٠٠٠)، مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت.

السيد، صبري إبراهيم، (١٩٩٥). علم اللغة الاجتماعيّ: مفهومه وقضاياه، دار المعرفة، الإسكندرية.

عبد التواب، رمضان. (١٩٩٠)، التطور اللُغويّ، مظاهره وعلله وقوانينه، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة.

عبيدات، سليمان أحمد. (د.ت)، دراسة في عادات وتقاليد المجتمع الأردنيّ، مؤسسة مصري للتوزيع، لبنان.

عطية، نوال محمد. (١٩٨٢)، علم النفس اللُغويّ، ط ٢، مكتبة الأنجلو المصرية .

عمر، أحمد مختار.(١٩٩٨)، علم الدلالة، ط٥، عالم الكتب، القاهرة.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد. (١٩٩٧)، الصاحبي في فقه اللغة العربيّة، تعليق أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت.

فرويد، سيجموند. (١٩٨٣)، الطوطم والتابو، ترجمة بوعلي ياسين، دار الحوار، سوريا.

المبرد، محمد بن يزيد، (١٩٩٧). الكامل، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٣، دار الفكر العَربيّ ، القاهرة.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، (١٩٩٤). لسان العرب، ط٣، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

وافي، علي عبد الواحد. (١٩٨٣)، اللغة والمجتمع، ط٤، شركة مكتبات عكاظ، السعودية.

ثانياً– المراجع الأجنبية

The Holy Quran.

Abdel Tawab, Ramadan. (1990).Linguistic development, its manifestations, causes and laws, 2nd ed., Al-Khanji Library, Cairo.

Abu Zalal, Issam El-Din. (2004), Linguistic Prohibition and Verbal Enhancer, Dar Al-Wafa, Alexandria.

Al-Mobarrid, Muhammad bin Yazid. (1997), Al-Kamil, achieved by Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, 3rd edition, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo.

Al-Rubaie, Sahib.(2010), Women and the Legacy in Societies of Shame, Safahat for Publishing, Damascus.

Al-Sakaki, Youssef bin Muhammad. (2000), Miftah Al-Ulum, investigation by Abdul Hamid Al-Hindawi, Dar Al-Kutub Al-Ilmia, Beirut.

Al-Thaalibi, Abu Mansour. (1998), Metonymy and exposure, investigation: Aisha Hussein Farid, Dar Qubaa for Printing and Publishing, Cairo.

Al-Thaalabi, Abu Mansour. (1999), Philology and the secrets of Arabic, Desire Sakkal's commentary and commentary, Dar al-Fikr al-Arabi, Beirut.

Anis, Ibrahim. (1974), Semantics, 3rd Edition, Anglo-Egyptian Library, Cairo.

Attia, Nawal Muhammad. (1982), Linguistic Psychology, 2nd edition, Anglo-Egyptian Library.

Bishr, Kamal. (1997), Sociolinguistics, 3rd Edition, Gharib House for Printing and Publishing, Cairo.

Freud, Sigmund. (1983), Totem and Taboo, translated by Bouali Yassin, Dar Al-Hiwar, Syria.

El-Khouly, Muhammad Ali. (1993), An Introduction to Linguistics, Dar Al-Falah Publishing, Jordan.

El-Sayed, Sabri Ibrahim. (1995), Sociolinguistics: its concept and issues, Dar al-Maarifa, Alexandria.

Ibn Faris, Abu Al-Hussein Ahmed. (1997), Al-Sahbi in the Jurisprudence of the Arabic Language, Commentary by Ahmed Hassan Bassaj, Publications of Muhammad Ali Beydoun, Dar Al-Kutub Al-Ilmia, Beirut.

Ibn Manzur, Jamal al-Din Muhammad bin Makram. (1994), Lisan Al Arab, third edition, Dar Al Fikr for Printing and Publishing, Beirut.

Obeidat, Suleiman Ahmed. (d.T) , A Study in the Customs and Traditions of Jordanian Society, Masri Foundation for Distribution, Lebanon.

Omar, Ahmed Mukhtar. (1998), Semantics, 5th edition, World of Books, Cairo.

Ullman, Stephen.(1975), The role of the word in language, translation, presentation and commentary: Kamal Bishr, Youth Library, Egypt.

Wafi, Ali Abdel Wahed. (1983), Language and Society, 4th edition, Okaz Libraries Company, Saudi Arabia.